المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16S آذار 2025
No.16S Mar 2025
عدد خاص لأبحاث المؤتمر العلمي الثاني الموسوم (الارتقاء بالأداء التربوي والتعليمي- رؤى وتطبيقات معاصرة) الذي تقيمه الكلية التربوية المفتوحة ونقابة المعلمين العراقيين بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة وكلية المأمون الجامعة تحت شعار (اسس التطوير وسبل التغيير) في 26-2-2025

مالك الاشتر وجهوده في مؤازرة الامام علي "عليه السلام"

م. م سلام كاظم سليم عبيد الزبيدي
متوسطة الفاو للبنين/التابعة لمديرية الرصافة الثالثة

ملخص البحث

مالك الأشتر(رض)هذا الإنسان الذي تحدّث عنه المؤرخون قديماً وحديثاً، أنَّه أسلم في حياة النبيّ(صلى الله عليه واله) عندما سمع بالإسلام، ولكنَّ ظروفه لم تساعده على أن يلتقي النبيّ(صلى الله عليه واله) فيكون من أصحابه. وقد رُوي عن رسول الله(صلى الله عليه واله) أنَّه قال عنه: "إنَّه المؤمن حقّاً"، وهي شهادة عظيمة فيه من رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم)، ما يوحي بأنَّ الرّجل كان من المسلمين الذين امتلأت عقولهم بالإسلام، ونبضت قلوبهم به، وعاشت حياتهم لأجله. فكان المجاهد في الفتوحات الإسلامية عندما انطلق المسلمون بها بعد رحيل رسول الله(صلى الله عليه واله)، كما يحدّث المؤرخون. وقد ارتبط بالإمام علي "عليه السلام" مبكّراً عندما عاش فكره وروحه وجهاده واندمج معه بكلِّ شخصيته، وكانت مواقف الأشتر واضحةً جَليَّة المعالم. فهذا العملاق الشجاع أصبح جُندياً مخلصاً لأمير المؤمنين "عليه السلام"، شهد معظم الوقائع والأحداث التي دارت في زمن الامام علي "عليه السلام" وكان في طليعة قادته في المعارك، ومن أقرب عمّاله في إدارة الدولة فقد ولاه كان الامام علي "عليه السلام" على الجزيرة الفراتية وما جاورها لقربها من الشام، وكثيراً ما كان يأتي إلى الكوفة ليجتمع مع الامام علي "عليه السلام" للمشاورة، وفي معركة صفين أبلى مع الامام بلاءً شديداً، ولم يرغب بالتوقف عن القتال حتى اقترب من خيمة معاوية لولا أمر الامام علي "عليه السلام" اليه بإيقاف القتال كبقية الجيش واللجوء للتحكيم فتوقف بسبب طاعته المطلقة للإمام علي "عليه السلام". ولثقة الامام علي "عليه السلام" به ومعرفته بولائه وإيمانه ولّاه مصر وبعث معه عهداً فأدرك معاوية الخطر الذي يهدده عند وصول مالك (رض) إلى مصر فدبر خطة لاغتياله فأوعز إلى من دسّ السم اليه، كان الامام علي "عليه السلام" ينظر إلى هذا الرّجل كشخصٍ يمثِّل بمفرده قوّةً له وللإسلام وللمسلمين آنذاك، بحيثُ إنَّه عندما استشهد عبّر عنه الإمام "عليه السلام" ، بأنَّ ركناً كبيراً قد انهار.

كلمات مفتاحية : مالك الاشتر ، الامام علي

Malik al-Ashtar and His Efforts in Supporting Imam Ali (peace be upon him)

A.L. Salam Kadhim Salim Ubaid al-Zubaidi
Al-Faw Intermediate School for Boys/Affiliated with the Third Rusafa Directorate

Research Summary: Malik al-Ashtar (may God be pleased with him), a man about whom historians, both ancient and modern, have written, embraced Islam during the Prophet's (peace and blessings be upon him and his family) lifetime upon hearing of it. However, his circumstances prevented him from meeting the Prophet (peace and blessings be upon him and his family) and becoming one of his companions. It has been narrated that the Messenger of God (peace and blessings be upon him and his family) said of him, "He is truly a believer." This is a great testimony from the Messenger of God (peace and blessings be upon him and his family), indicating that the man was among those Muslims whose minds were filled with Islam, whose hearts beat with it, and who lived their lives for its sake. He was a warrior in the Islamic conquests when the Muslims embarked upon them after the passing of the Messenger of God (peace and blessings be upon him and his family), as historians recount. He became closely associated with Imam Ali (peace be upon him) early on, absorbing his thought,

المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16S Mar 2025 اذار 2025 No.16S
عدد خاص لأبحاث المؤتمر العلمي الثاني الموسوم (الارتقاء بالأداء التربوي والتعليمي- رؤى وتطبيقات معاصرة) الذي تقيمه الكلية التربوية المفتوحة ونقابة المعلمين العراقيين بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة وكلية المأمون الجامعة تحت شعار (اسس التطوير وسبل التغيير) في 26-2-2025

spirit, and struggle, and becoming one with him in his entirety. Al-Ashtar's stances were clear and unambiguous. This courageous giant became a loyal soldier of the Commander of the Faithful (peace be upon him), witnessing most of the events that took place during the time of Imam Ali (peace be upon him). He was at the forefront of his commanders in battles and one of his closest officials in the administration of the state. Imam Ali (peace be upon him) appointed him governor of the Jazira region and its surroundings due to its proximity to Syria. He frequently came to Kufa to meet with Imam Ali (peace be upon him) for consultation. In the Battle of Siffin, he fought valiantly alongside the Imam, and he did not wish to stop fighting until he was close to Muawiyah's tent. However, Imam Ali (peace be upon him) ordered him to halt the fighting like the rest of the army and resort to arbitration, so he stopped due to his absolute obedience to Imam Ali (peace be upon him). Because of Imam Ali's (peace be upon him) trust in him and his knowledge of his loyalty and faith, he appointed him governor of Egypt and sent a covenant with him. Mu'awiya realized the danger that threatened him upon Malik's (may God be pleased with him) arrival in Egypt, so he devised a plan to assassinate him and instructed someone to poison him. Imam Ali (peace be upon him) viewed this man as someone who single-handedly represented strength for him, for Islam, and for the Muslims at that time, to the extent that when he was martyred, the Imam (peace be upon him) said that a great pillar had collapsed.
Keywords: Malik al-Ashtar, Imam Ali

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.
وبعد ...

يحمل التاريخ الاسلامي في ثناياه الكثير من الأحداث، والمواقف على مر العصور، وقد نقل لنا سيرة حياة العديد من الأشخاص العظماء الذين كان لهم بصمة وتأثير واضح على العالم بأسره، فمن هؤلاء الأشخاص مالك بن الحارث الاشتر الذي سطر له التاريخ اروع المواقف والبطولات مع الامام علي "عليه السلام" في بيعته وحروبه ،وكان الإمام علي "عليه السلام" يعطيه إذناً، وكان منقاداً منصاعاً بكل وجوده لإمامه وقائده وهذه ميزة قل نظيرها عند الشجعان ، إذ أن الشجاعة والبأس غالباً ما تُخرج صاحبها عن جادة الاعتدال وتدخل به ساحة البغي والظلم نتيجة الاغترار الزائد بالنفس، أما مالك فقد كان مالكاً لزمام نفسه مروّضاً لها على طاعة لله عزّ وجلّ وطاعة وليه. وهذا ينم عن السريرة التي كان يمتلكها هذا الرجل وعن الإيمان العميق الذي يحمله في قلبه وعقله، ويمكن استكشاف عظمة هذه الشخصية العظيمة الفريدة من كلام الإمام علي "عليه السلام" عنه : "لقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله)" ، وعليه فالذي نخلص إليه من هذه العبارة البليغة الرائعة أنّ أمير المؤمنين عليّاً "عليه السلام"، كما كان أفضل وأكمل تلميذ للنبيّ (صلى الله عليه وآله) ولم يكن أحد أقرب منه إليه (صلى الله عليه وآله)، فإنّ مالكاً يتمتّع بالدرجة نفسها، أي أنّه كان أفضل وأكمل تلميذ لمدرسة أمير المؤمنين علي "عليه السلام" ، وأنّه أقرب فرد إليه، ولذلك ليس هنالك من وصف ولا مقام يفوق ما أورده أمير المؤمنين "عليه السلام" بشأنه، إذ لا يضاهيه أحد بهذه الدرجة، كيف لا ولم يقل "عليه السلام" مثل هذه العبارة بحقّ أحد سواه. ومن هذا المنطلق حاولت التقصي والبحث في بعض الجوانب لهذه الشخصية الفذة في البحث الحالي، تحت عنوان: "مالك الاشتر وجهوده في مؤازرة الامام علي(عليه السلام)"، وقسمته على مبحثين ،المبحث

الاول: حياة مالك الاشتر(رض) وسيرته ،وجاء على اربعة مطالب: المطلب الاول: ولادته ونشأته ،المطلب الثاني: اسلامه ،المطلب الثالث: اراء العظماء وأصحاب الرأي في شخصيته، المطلب الرابع: توليه ولاية مصر، المطلب الرابع: استشهاده، أما المبحث الثاني: خلافة الامام علي بن ابي طالب "عليه السلام" ومؤازرة الاشتر(رض) فيها ، وتضمن ثلاثة مطالب هي: ،المطلب الاول: موقفه من مبايعة الامام علي "عليه السلام"، المطلب الثاني: مؤازرته في نقل مقر الخلافة الى العراق، المطلب الثالث: جهوده في حروب الامام علي "عليه السلام".

ولا أدعي أنني وقفت على جوانب هذه الشخصية العظيمة في المباحث التي تطرقت إليها، بأغوارها وأعماقها وإنما أدليت بدلوي في محاولة مني للإسهام بألقاء الضوء على تلك الجوانب بما تيسر لي من أدوات لاحظي بشرف المشاركة في توصيف بعض الجهود لتلك الشخصية البارزة، فإن أكن قد أصبت فبفضل الله الذي هداني ،وأن أكن قد جانبت الصواب قليلاً فذلك من نفسي ،وحسبي أنني حاولت أن أخوض في هذا الغمار ولو يسيراً.

المبحث الاول

حياة مالك الاشتر(رض) وسيرته

المطلب الاول

ولادة مالك الاشتر(رض) ونشأته

أسمه ولقبه: هو مالك بن الحارث بن عبد يَغوث بن سَلِمة بن ربيعة بن يَعرُب بن قحطان، وهو نخعي من مذحج، ولُقِّب بـ "الأشتر" ، لأن إحدى عينيه شُتِرَت – أي شُقَّت – في معركة اليرموك [1]. ومن القابه أيضاً "كبش العراق" [2]، ولم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخاً محدداً لولادته.

نشأته:

من شخصيات التاريخ الاسلامي النادرة، ومن ابطال الحرب البارزين في أيام العرب، جمع البطولة إلى النجدة، والشجاعة إلى الدين، والفصاحة والبلاغة إلى الكرم والأدب، ورغم ما مر من صفات الرجل فان التاريخ لم ينصفه، ولم يحص مآثره وأمجاده، لان ما به من صفات لا يمكن حصرها ولا يتأتى تعدادها. انه يمثل العربي الصحيح، العربي الذي لا يقرب العيوب ولا يداني الدنس، العربي الذي يرخص الروح في سبيل الذود عن الكرامة والدفاع عن الحياض، هذه الكلمات ليست ألفاظا تقال في معرض الحديث عن مالك الأشتر، وانما هي كلمات لها معانيها ومدلولاتها وآثارها في شخص بطل طبق على نفسه القواعد الموضوعة والحدود المرسومة حتى بلغ مرتبة المثل الأعلى للرجل الكامل ، مالك الاشتر (رض)عربي له ما للعرب من العادات والتقاليد أصيلة، نشأ في العرب وربي بتربية العرب، وكانت فيه استعدادات نفسية تتقبل كل هذه الايحاءات بقبولها الحسن ، فكان مثال العربي الصحيح ،وتغلغلت فيه الصفات والعادات منذ بلوغه، وقبيلته من اشهر قبائل العرب اليمانية وأكثرها قوة ومنعة ، ويشب مالك الاشتر(رض) ويدرج فيصادف الاسلام ويدخل فيه، ويتأثر بتعاليمه التي تعاهدت بعض تلكم العادات بالنماء من ناحية ولطفت من بعضها الاخر من ناحية اخرى، وقد حصل في سبيل الذود عن الاسلام على لقب "الاشتر" الشرف الذي طغى على اسمه [3]. كان زعيماً في قومه ومن أعيانهم في الجاهلية، هاجر من اليمن الى الكوفة في سنة (12) أو (13) للهجرة (632 أو633م)، وله عقب فيها. كان خطيباً مفوّهاً، شاعراً فصيحاً، جواداً حليماً، فارساً شجاعاً شديد البأس، وكان يجمع بين اللين والعنف، فيسطو في موضع السطوة، ويرفق في موضع الرفق[4].

---

(1) ينظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد(ت 230هـ) ، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م، 239/6..

(2) ينظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ط2، 1382هـ، ص260.

(3) ينظر: الحكيم، محمد تقي، مالك الاشتر حياته وجهاده، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م،ص18.

(4) الامين، السيد محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1403هـ-1983م،38/9.

المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16S اذار 2025
No.16S Mar 2025
عدد خاص لأبحاث المؤتمر العلمي الثاني الموسوم (الارتقاء بالأداء التربوي والتعليمي- رؤى وتطبيقات معاصرة) الذي تقيمه الكلية التربوية المفتوحة ونقابة المعلمين العراقيين بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة وكلية المأمون الجامعة تحت شعار (اسس التطوير وسبل التغيير) في 26-2-2025

المطلب الثاني

إسلام مالك الاشتر(رض) وايمانه

مما لاشك فيه أن مالك الأشتر(رض) قد أسلم في زمن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله) وظل راسخاً في إسلامه. وقد نال درجةً من الايمان بلغَتْ حداً شهد له فيه النبي الأكرم (صلى الله عليه واله) بالإيمان بشكل قاطع، وعبّر عنه في حديث شريف بأنه "مؤمن" أو "مؤتمَن" [1]، وعاصر مالك الأشتر النبي (صلى الله عليه وآله), ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه, وذكر عند النبي (صلى الله عليه وآله) فقال فيه النبي (صلى الله عليه وآله): "إنه المؤمن حقاً" [2] ، وهذه شهادة تعدل شهادة الدنيا بأسرها. كما عُدَّ مالك (رض) من بين المجاهدين الذين أبلَوا بلاءً حسناً في حروب الردَّة. كما أنه ذُكر في جملة المحاربين الشُّجعان الذين خاضوا معركة اليرموك, وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (13هـ). وثمَّة إشارات تدل على أن مالكاً كان قبل اليرموك يشارك في فتوح الشام, ويدافع عن مبادئ الإسلام وقيمه السامية, ويدفع عن كيان الإسلام وثغور المسلمين شرور الكفار، كان الأشتر (رض) صاحب دين، وكان معدودا في التابعين ، وكان على جانب كبير من التقشف والزهادة ودليل ذلك اعجابه الشديد بأبي ذر الغفاري، وكان مالك (رض) أحد الذين زاروا الصحابي الجليل رغم غضب الخليفة عليه، حتى لقد مات أبو ذر بين يديه وتولى مالك دفنه ، وابنه تأبينا ينم على الالم لما لقيه من عنت وغبن، كما ينم على الاستياء والحقد على أولئك الذين آذوا صاحب الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) ، فلم يعرفوا له قدره ومكانته، ولقد وضع الشيخ أبا ذر في حفرته الأخيرة ثم جرد سيفه فمسح به القبر ثم تكلم عن صاحبه ، فقال: ان أبا ذر رأى منكرا فغيره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي وحرم واحتقر ثم مات وحيدا غريبا، ثم تثور حفيظة مالك (رض) فيدعوا على المعتدين بقوله اللهم فاقصم من حرمه ونفاه[3]. وخطى مالك الأشتر(رض) منذ إسلامه على نهج السنّة النبوية والسيرة العلوية، رغم رحيل النبي محمد المصطفى(صلى عليه واله وسلم) وتولّي الأمر ثلاثة من أصحابه، فانه لم يتخلَّ يوماً عن أهل البيت "عليهم السلام" الورثة الحقيقيين للنبي(صلى عليه واله وسلم) كما كان من المدافعين عن حريمهم وحقِّهم بضَراوة. وقد ساهم في عزل بعض الولاة المُعيّنين من قبل الخلفاء، عبر اعتراضه على سلوكياتهم، وقد هيأ الأرضية المناسبة لإنصاف المظلومين والاستجابة لشكاوى المسلمين. [4].

المطلب الثالث

اراء العظماء وأصحاب الرأي في شخصية مالك الاشتر(رض)

ان مالك الأشتر(رض) اتسم بالزهد والحلْم وحسْن الخُلق والصبر والتواضع، في ذات الوقت الذي كان يشتهر بالحكمة والشجاعة والفضيلة والنُّبل. ورغم ما عُرف عنه من أنه الفارس الذي لا يشق له غبار في ميادين القتال، وما اشتهر به من شجاعة وشدّة في ذات الله، إلا أن هذه الصفات كانت متلازمة مع لينٍ وسكينة وعاطفة جيّاشة ، قال أمير المؤمنين علي "عليه السلام" في إحدى رسائله لاثنين من قادة جيشه ـ وهما زياد بن نصر، وشُرَيْح بن هانئ، واللذين جعل مالك الأشتر(رض) أميراً عليهما ـ مشيراً الى مالك(رض): "لقد أمّرتُ عليكما وعلى من في حيّزكما، مالك بن الحارث الأشتر(رض)، فاسمعا له وأطيعا واجعلاه درعاً ومجنّاً، فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم ولا إسراعه الى ما البطؤ عنه أمثل" [5]،وفي رواية اخرى عن الامام علي "عليه السلام": "أشجع الناس مَن غَلَبَ هواه" [6].

---

(1) ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن وهبة الله (656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ط1، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م،98/15.

(2) المصدر نفسه.

(3) الامين، اعيان الشيعة،39/9.

(4)الامين، اعيان الشيعة،39/9.

(5) المجلسي، محمد باقر (ت1111هـ)،بحار الانوار ، تحقيق محمد الباقر ويحيى العابدي، دار احياء التراث، بيروت، ط3، 1403هـ -1983م،42/ 176.

(6) الريشهري، محمد ، ميزان الحكمة، دار الحديث ،قم المقدسة(ب-ط)،1422هـ، 3483/4، رقم (4045).

المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16S آذار 2025
No.16S Mar 2025
عدد خاص لأبحاث المؤتمر العلمي الثاني الموسوم (الارتقاء بالأداء التربوي والتعليمي- رؤى وتطبيقات معاصرة) الذي تقيمه الكلية التربوية المفتوحة ونقابة المعلمين العراقيين بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة وكلية المأمون الجامعة تحت شعار (اسس التطوير وسبل التغيير) في 26-2-2025

ومن اروع ما قيل في شجاعته ايضاً ، قول الإمام علي "عليه السلام" بوصفه : "اشد على الفجار من حريق النار ، فاسمعوا له أَطيعوا امره فيما طابقَ الحقَّ، فإنهُ سيف مِنْ سيوف اللهِ" [1].وقد ورد عن بعض العلماء أن: الأشتر (رض) من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم [2]، وكان جليل القدر وعظيم المنزلة، وكان اختصاصه بعلي "عليه السلام" اظهر من أن يخفى، وتأسف أمير المؤمنين "عليه السلام" بموته " [3] ، وأشار اليافعي(ت 768هـ) الى أن :" الأشتر كان من الأبطال و سيد قومه وخطيبهم وفارسهم. وكان من دُهاة وعقلاء العرب" [4] .

قال أمير المؤمنين علي "عليه السلام" في وصف مالك(رض): " ليت فيكم مثله إثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه" [5] ، وقد علّق المحدِّث القمّي (رحمه الله) على هذه الرواية في الهامش قائلا: "إن عمرو بن الحمق الخزاعي الذي كان من حواري أمير المؤمنين "عليه السلام" ومشهوراً بالجلالة والفضل، بل قيل في حقه أنه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله(صلى الله عليه واله)، أن أمير المؤمنين "عليه السلام" قال: "ليت أن في جندي مائة مثلك". لكنه قال في الأشتر: "ليت فيكم مثله واحد" ، فتأمل في ذلك ليدلك على مرتبة رفيعة وجلالة عظيمة للأشتر رضوان الله عليه" [6].

المطلب الرابع
استشهاد مالك الأشتر(رض)

كان الإمام علي "عليه السلام" يرى مالك الأشتر(رض) جديراً بحكم مصر، فلذلك دعاه الى الكوفة وأعطاه عهده المعروف، وبعث به إلى هناك. فما كان من معاوية الذي كان يُدرك أنه لو دخل مالك الأشتر مصر فإنها ستتحول الى قاعدة قوية وراسخة للخلافة العلوية، فدبّر خطة لاغتياله، وهو ما تحقّق له في نهاية المطاف. فقد استشهد مالك الأشتر في أرض القلزم بمصر على يد نافع ـ مولى عثمان بن عفان ـ الذي سقاه شراباً مزيجاً من السَّم والعسل [7].

ذكر بعض المؤرخين أن مالك الأشتر(رض) استشهد في رجب عام(37هـ)، ولكن يبدو أن الصواب هو الخامس والعشرون من ذي القعدة عام 38 للهجرة[8].

ولم تشر المصادر التاريخية الى مكان دفنه (رض) ما عدا اليعقوبي في تاريخه إذ ورد فيه: (لما بلغ معاوية أن علياً "عليه السلام" ، قد وجه الأشتر(رض) عظم عليه، وعلم أن أهل اليمن أسرع إلى الأشتر(رض) منهم إلى كل أحد، فدس له سماً، فلما صار إلى القلزم - من الفسطاط على مرحلتين - نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له... فخدمه، وقام بحوائجه، ثم أتاه بقعب فيه عسل قد صير فيه السم، فسقاه إياه، فمات الأشتر (رض) بالقلزم، وبها قبره، وكان قتله وقتل محمد بن أبي بكر في سنة (38هـ))[9]

---

(1) امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)، نهج البلاغة ، جمعه ابو الحسن محمد الرضي، ضبط نصه صبحي الصالح، بيروت ،ط 1967،1 م. ص63،رقم الخطبة (38).

(2) الكشي، ابو عمرو محمد بن عمر الكشي (ت350هـ)، رجال الكشي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، كربلاء، (ب-ط)، 1962م، 1/ 65.

(3) الحلي، ابو منصور الحسن بن يوسف (ت726هـ)، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة، قم المقدسة، ط4، 1431هـ، ص277.

(4)اليافعي، أبو محمد عفيف الدين (ت768هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقطان، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م، 88/1. .

(5)المجلسي، بحار الانوار، 547/32، رقم (459).

(6) القمي، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، دار الاسوة للطباعة، قم المقدسة، ط2، 1416هـ، 4/ 388.

(7) ينظر: البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر(279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417 هـ - 1996 م، 398/2.

(8) ينظر: ابن تغري، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر،(ب-ط-ت)، 104/1.

(9) اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر(292هـ)، تاريخ اليعقوبي، تعليق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب-ط)، 2002م، 192/2، وينظر: المسعودي، ابو الحسن علي بن

كان الإمام علي "عليه السلام" ينتظر على أحرّ من الجمر أن يبعث إليه في الكوفة واليه على مصر تقريراً حول الفوضى الحاصلة في تلك الديار، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل، مما أقلق الإمام وأثار هواجسه، حتى بلغه نبأ استشهاد الأشتر (رض)، مما أدى الى حزن الإمام "عليه السلام" حزناً بالغاً والبكاء عليه كثيراً، ثم ارتقائه المنبر دامع العين، وقوله: "لله درّ مالك، لو كان من جبل لكان أعظم أركانه، ولو كان من حجر كان صلداً. أما والله ليهدن موتك عالماً، فعلى مثلك فلتبك البواكي"[1] ثم قال: "إنّا لله وإنّا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين، اللهم إني أحتسبه عندك، فان موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكاً، فقد وفى بعهده وقضى نحبه ولقي ربه، مع أنا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر بعد مصابنا لرسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) فإنها من أعظم المصيبة"[2].

وعند اشتداد أوار حرب صفّين التي استشهد خلالها عدد من أصحاب وأنصار الإمام علي "عليه السلام" بكى الأشتر(رض) ذات يوم، فسأله الإمام عن سبب بكائه فأجاب: أبكي لأنني لم أُرزق بما رُزق به أنصارك الشهداء الفائزون، فقال له الإمام علي "عليه السلام": "أَبْشِر بالخير يا مالك"[3] ، وقد كتب أمير المؤمنين في خاتمة عهده الى مالك الأشتر داعياً: "وأنْ يختم لي ولك بالسعادة والشهادة"[4]. وقد استُجيب دعاؤه بحقِّه وبحقِّ مالك.

المبحث الثاني

خلافة الامام علي بن ابي طالب "عليه السلام" ومؤازرة الاشتر(رض) فيها

المطلب الاول

موقفه من مبايعة الامام علي "عليه السلام"

تسلّم الإمام "عليه السلام" مقاليد الخلافة بعد انثيال الناس عليه، وإقبالهم المنقطع النظير، وإصرارهم المتواصل، وبين سياسته في الحكم بصراحة في خطبه الحماسية الجليلة له، وذكر فيها انه لن يطبق الامتيازات التي لا اساس لها في الاسلام، وانه "عليه السلام" سوف يحدث تغييراً جذرياً في المجتمع[5]

وهرعت الجماهير إلى الجامع الأعظم و هي تنتظر بفارغ الصبر قبول الإمام لخلافتهم، وأقبل الإمام "عليه السلام" وإلى جانبيه سبطا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد احتفّت به البقيّة الطاهرة من صحابة رسول الله كعمار بن ياسر ومالك الأشتر وغيرهما، وقد ارتفعت أصوات الجماهير بالتأييد الكامل له والهتاف بحياته، فاعتلى "عليه السلام" أعواد المنبر وخاطب الجماهير:" أيّها النّاس! إنّ هذا أمركم ليس لأحد فيه حقّ إلّا من أمّرتم، وقد افترقنا بالأمس وكنت كارها لأمركم، فأبيتم إلّا أن اكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أن آخذ درهما دونكم، فإن شئتم قعدت لكم، وإلّا فلا آخذ على احد- يعني البيعة"[6]، وأخذ الأشتر(رض) بيده فبايعه وبايعه الناس وأهل الكوفة يقولون أول من بايعه الأشتر النخعي ، وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول لا يصلح لها إلا علي (عليه السلام)"[7].

الحسين(ت346هـ)، مروج الذهب ، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط2، 1990م، 432/2،والريشهري، محمد، موسوعة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)،76/7، رقم (2804)، الجلالي، محمد حسين، مزارات أهل البيت وتاريخها، مؤسسة، الاعلمي، بيروت، ط3، 1415هـ - 1995م، ص126.

(1) المجلسي، بحار الانوار، 592/33.

(2) القمي، سفينة البحار، 385/4

(3) الريشهري، موسوعة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، 51/7، رقم (2799).

(4) المجلسي، بحار الانوار، 265/74.

(5) ينظر: الريشهري، موسوعة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)، 10/7.

(6) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م، 556/2.

(7) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، (ب-ط)، 1407 هـ - 1986 م،7/ 236.

وجاء في خطبته الاولى بعد المبايعة: "ألا لا يقولن رجال منكم غداً، قد غمرتم الدنيا، فاتخذوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إن لم يغفر لهم الغفار ـ إذا منعوا ما كانوا به، وصيروا إلى حقوقهم التي يعلمون، يقولون: حرمنا ابن أبي طالب، وظلمنا حقوقنا، ونستعين بالله ونستغفره. وأما من كان له فضل وسابقة منكم، فإنما أجره فيه عند الله، فمن استجاب لله ورسوله، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم أيها الناس عباد الله المسلمون، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، وليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى، وللمتقين عند الله خير الجزاء، وأفضل الثواب لم يجعل الله الدنيا للمتقين جزاءً، وما عند الله خير للأبرار. وإذا كان غداً فاغدوا، فإن عندنا مال اجتمع، فلا يتخلفن أحد كان في عطاء أو لم يكن، إذا كان مسلماً، حراً، احضروا رحمكم الله"[1].

وابتهج المسلمون بهذه البيعة، وعمّت الفرحة الكبرى جميع أنحاء العالم الإسلامي، فقد رجع الحقّ إلى نصابه وقامت دولة العدل، و تقلّد الخلافة أبو الأيتام و ناصر المحرومين والمظلومين قد حكى الإمام في بعض خطبه مدى سرور الناس ببيعته، قال "عليه السلام" :" وبلغ من سرور النّاس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصّغير، وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت إليها الكعاب"[2]. لقد انتشرت في ذلك اليوم الخالد في دنيا الإسلام ألوية العدالة الإسلامية، وتحقّقت الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام في عالم السياسة والإدارة والحكم. وانبرى الزعيم الكبير مالك الأشتر، وهو من ألصق الناس بالإمام ومن أكثرهم فهما له، فخاطب المسلمين قائلاً: " أيّها الناس، هذا وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنّة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشكّ في سابقته وعلمه و فضله الأواخر ولا الأوائل ..."[3]

ومالك الاشتر (رض) من أكثر أصحاب الإمام وعيا وفهما لحقيقته، وقد حكت هذه الكلمات مدى فهمه للإمام "عليه السلام"، فهو وصيّ الأوصياء، ووارث علم الأنبياء، وهذه هي العقيدة الحقة في الإمام منذ فجر تأريخهم حتى يوم الناس هذا[4]، فهو لم يكن فقط مقاتلاً من الطراز الأوّل، بل كان يُحاول أن يعرّف النّاس بعلي "عليه السلام"، وكان يريد أن يجمع النّاس على طاعة علي "عليه السلام"، وأن يبتعد بهم عن كلّ ما كان يُثار ضدّه من قبل القاسطين والناكثين والمارقين. وقال في خطبة له: "معنا ابن عم نبيّنا، وسيف من سيوف الله عليّ بن أبي طالب، صلّى مع رسول الله، لم يسبقه إلى الصلاة ذكر حتّى كان شيخنا، لم يكن له صبوة"، فلم يصب إلى دنيا أو شيء من الدنيا، "ولا نبوّة"، فلم ينحرف قيد أنملة، "ولا هفوة ولا سقطة"، لأنَّه المعصوم الذي لا يخطئ "فقيه في دين الله تعالى، عالم بحدود الله، وعليكم بالحزم والجدّ. واعلموا أنَّكم على حقّ وأنَّ القوم على باطل، إنَّما تقاتلون معاوية، وأنتم مع البدريين قريب من مائة بدري سوى ما هو لكم من أصحاب محمَّد، أكثر ما كان معكم رايات"، فهذه الرايات التي هي معكم، "فقد كانت مع رسول الله"، وكلُّ فريقٍ يعرف من خلال الرايات التي ترفع فيه، "وعدوُّنا مع رايات قد كانت مع المشركين على رسول الله، فمن يشكّ في قتال هؤلاء إلا ميّت القلب، أنتم على إحدى الحسنيين إمّا الفتح أو الشهادة، عصمنا الله وإيّاكم بما عَصَمَ به من أطاعه، وألهمنا وإيّاكم طاعته وتقواه، واستغفر الله لي ولكم"[5].

ونخلص الى القول: ليس في هذا الشرق العربي ولا في غيره من مناطق العالم وامم الأرض حاكم مثل الإمام أمير المؤمنين "عليه السلام" في نزاهته وعدله، وتجرّده من جميع المحسوبيات و الأطماع، فقد كان فيما أجمع عليه المؤرّخون لم يخضع لأيّة نزعة مادية أو عاطفية، وإنّما آثر الحقّ ورضا الله تعالى في سلوكه وجميع تصرّفاته ، فلم يحاب أحدا ولم يداهن أي شخص في دينه، فقد تبنّى بصورة إيجابية العدل

(1) المجلسي، بحار الانوار، 26/32.
(2) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة، 3/13.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 124/2.
(4) ينظر: القرشي، باقر شريف، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)، مؤسسة الكوثر، (ب-ط-ت)، 5/11.
(5) الامين، اعيان الشيعة،40/9.

المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16S آذار 2025
No.16S Mar 2025
عدد خاص لأبحاث المؤتمر العلمي الثاني الموسوم (الارتقاء بالأداء التربوي والتعليمي- رؤى وتطبيقات معاصرة) الذي تقيمه الكلية التربوية المفتوحة ونقابة المعلمين العراقيين بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة وكلية المأمون الجامعة تحت شعار (اسس التطوير وسبل التغيير) في 26-2-2025

الخالص والحقّ المحض، وقد جهد أن يرفع الحيف والظلم والغبن عن الناس، ويحطّم الفوارق التي مآلها إلى التراب بين المسلمين.

المطلب الثاني
مؤازرته في حرب الجمل ونقل الخلافة

لم يكن الصحابة في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين على بن أبى طالب "عليه السلام" من المدينة ، فقد تبين ذلك حينما همّ الامام "عليه السلام" بالنهوض إلى الشام ، ليزور أهلها ، وينظر ما هو رأي معاوية ، وما هو صانع[1] ، فقد كان "عليه السلام" يرى أن المدينة لم تعد تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة ، فقال: "إن الرجال والأموال بالعراق"[2] ، وحصل الكثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الامام علي "عليه السلام" مغادرة المدينة، إذ دعته الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرتها، وقرر الخروج للتوجه الى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام واثناء استعداده للخروج ، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير الى البصرة يطلبون بدم عثمان بن عفان[3] ،فاستنصر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته وحدث تثاقل من بعض اهل المدينة بسبب وجود الغوغاء بين القبائل والامصار، وطريقة التعامل معهم، فإن الكثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لازالت مستمرة[4]، فلابد من التروي حتى تنجلي الامور اكثر، والادلة على تثاقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين "عليه السلام" للخروج كثيرة منها: خطب الامام(عليه السلام) التي شكا فيها من هذا التثاقل[5] ، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة بعد مقتل عثمان بن عفان كما اتضح ذلك، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [6].

وتشير المصادر التاريخية الى أن الامام علي "عليه السلام" أرسل مالك الاشتر(رض) الى الكوفة ،فأقبل الأشتر(رض) حتى دخل الكوفة ، وقد اجتمع الناس في المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيلة يرى فيها جماعة في مجلس أو مسجد إلا دعاهم ويقول: "اتبعوني إلى القصر، فانتهى إلى القصر في جماعة من الناس، فاقتحم القصر، فدخله ،وأبو موسى قائم في المسجد يخطب الناس ويثبطهم؛ يقول: أيها الناس! إن هذه فتنة عمياء صماء تطأ خطامها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، والساعي فيها خير من الراكب. إنها فتنة باقرة كداء البطن، أتتكم من قبل مأمنكم، تدع الحليم فيها حيران كابن أمس. إنا معاشر أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله) أعلم بالفتنة؛ إنها إذا أقبلت شبهت، وإذا أدبرت أسفرت. وعمار يخاطبه، والحسن يقول له: اعتزل عملنا لا أم لك! وتنح عن منبرنا. وقال له عمار: أنت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقال أبو موسى: هذه يدي بما قلت. فقال له عمار: إنما قال لك رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا خاصة، فقال: " أنت فيها قاعدا خير منك قائما ". ثم قال عمار: غلب الله من غالبه وجاحده"[7].

وانتهى الموقف الحاسم الذي اتخذه مالك الأشتر(رض) من أبي موسى الأشعري بحل مشكلة إرسال جيش من الكوفة، فانطلقت القوات من هناك والتحقت بالإمام "عليه السلام" في ذي قار. ومما يسترعي

---

(1) ينظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد(ت 354هـ)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية' الهند، ط1، 1393 هـ - 1973م، 272/2.

(2) ينظر: الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت282هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط1، 1960م، 141/1.

(3) ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 23/3.

(4) ينظر: ابن حبان، الثقات، 277/2.

(5) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة، 307/1.

(6) ابن كثير، البداية والنهاية ،، 253/7، وينظر: الصلابي،علي محمد ، اسمى المطالب في سيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) شخصيته وعصره، مكتبة الصحابة، الامارات، (ب-ط)، 1425هـ- 2004م، 556/1.

(7)الأسدي ، سيف بن عمر(ت200هـ)، الفتنة ووقعة الجمل ، تحقق أحمد راتب عرموش، دار النفائس ،ط7، 1413هـ/1993م، ص 139،والطبري، تاريخ الرسل والملوك، 486/4، وابن الاثير، الكامل في التاريخ، 2/ 587،وابن كثير، البداية والنهاية ، 256/7.

الاهتمام في هذا الصدد هو أنه "عليه السلام" أخبر أصحابه بعدد الجيش القادم من الكوفة قبل وصوله إليه. وكانت الكوفة أفضل ولاية قادرة على إمداده بمثل تلك القوات؛ وذلك لأنها كانت حاضرة عسكرية، وكان فيها عدد كبير جدا من المقاتلين؛ خلافا لما كانت عليه مكة أو المدينة أو اليمن ، وفضلا عن ذلك فقد كانت الكوفة أقرب ولاية إلى البصرة، وهذا يعني أنها كانت أفضل مكان لإرسال القوات، إلا أن وجود أبي موسى الأشعري واليا على الكوفة، كان يحول دون استقدام القوات من هناك، وإن جهود مالك الاشتر (رض) قد أثمرت في استنفار أهالي الكوفة، وإرسال جيش منهم لمؤازرة الإمام "عليه السلام" .وذكرت المصادر بأن الأشتر(رض) قد أوفد إلى الكوفة في مستهل الأمر، وتجدر الإشارة إلى أن الأشتر كانت له وجاهة لا نظير لها بين أهالي الكوفة[1].

وبعد أن أحيط الامام علي "عليه السلام" بمواقف عائشة والزبير وطلحة، وإعلانهم العصيان المسلَّح، أيقن أنهم مصمّمون على المضيّ في طريقهم، حيث زحف بمن معه من المسلمين إلى مدينة البصرة... ولكنّ الامام علي بن ابي طالب "عليه السلام" ظلّ يحافظ على السِّلم، والالتزام بالهدوء والصّبر، الا ان عائشة فتكلمت وكانت جهورية يعلو صوتها كثرة كأنه صوت امرأة جليلة - فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه وقالت: كان الناس يتجنون على عثمان ، ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم ،ويرون حسنا من كلامنا في صلاح بينهم فننظر في ذلك، فنجده بريا تقيا وفيا ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون فلما قووا على المكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه داره واستحلوا الدم الحرام والمال الحرام والبلد الحرام [2]

هناك حقيقة تاريخية الا وهي، أنَّ الفريقين في تلك المعركة قد اقتتلا قتالاً ضارياً لم يشهد تاريخ البصرة قتالاً أشدّ ضراوةً منه، حيث لا يرى فيها الناس إلا أيدي تتناثر، وأرجلاً تقطع، وأجساداً تتهاوى هنا وهناك، ولما رأى الامام عليّ "عليه السلام" هذا الموقف ، علم أن المعركة لن تنتهي مادام الجمل واقفاً على قوائمه، فصاح بأصحابه: "اعقروا الجمل، فإن في بقائه فناء العرب" ، فحمل الناس معه، وتناوب بنو ضبّة على خطام الجمل حتى قتل منهم جماعة، فأمرهم بأن يعقروا الجمل، فلمّا عقروه، هوى إلى الأرض، فتفرّق من كان حوله، وبقيت صاحبة الهودج وحدها في ميدان المعركة[3].

وكانت هذه الواقعة مهمة في التاريخ العربي الاسلامي كما اشارت إليها المصادر التاريخية القديمة أحيانا بشكل مفصّل وأحياناً بإيجاز، وما يهمنا هنا هو جهود القائد مالك الاشتر(رض) في هذه الواقعة ، قاد مالك الأشتر (رض) هجوماً عنيفاً باتجاه الجمل. وكان مالك الأشتر يقتل بشجاعة وفروسية[4]، أي انّه لا يقتل الجرحى ولا يطارد الذين يفرّون من المعركة. وكان مالك يقتدي في أخلاقه بالإمام علي "عليه السلام"، فهو يحبّ وصي رسول الله، وكذلك كان الإمام يحبّ مالكاً لأنّه من أهل التقوى، ودخل عمار بن ياسر ومالك بن الحارث (رضي الله عنهما) على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل فقالت عائشة: يا عمار، من معك؟ قال الأشتر(رض) : فقالت: يا مالك، أنت الذي صنعت بابن أختي ما صنعت؟ قال: نعم، ولولا أنى كنت طاويا ثلاثة أيام لأرحت أمة محمد منه، فقالت: أما علمت أن (رسول الله صلى الله عليه واله وسلم) قال: "لا يحل دم مسلم الا بأحد أمور ثلاث: كفر بعد الايمان، أو زنا بعد إحصان، أو قتل نفس بغير

(1) ينظر: الريشهري، موسوعة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)، 158/5.
(2) ينظر: الاسدي، الفتنة ووقعة الجمل، ص172.
(3) ينظر: الدينوري، ابن قتيبة(ت276هـ)،الامامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، (ب-ط-ت)، ص70، حسين ،طه، الفتنة الكبرى، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، (ب-ط)، 2012م، 10/2.
(4) ينظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر ،بيروت ،ط1، 1994م، 195/7.

حق" [1]! قال الأشتر: على بعض هذه الثلاثة قاتلناه يا أم المؤمنين، وأيم الله ما خانني سيفي قبلها، ولقد أقسمت ألا يصحبني بعدها[2].

ولم يُطل الإمام "عليه السلام" مقامه بالبصرة فقد مكث فيها شهراً واحداً، وخلف فيها عليهم عبد الله بن عباس، وكان قد ارسل قبل رحيله منها مالك الاشتر(رض) ليسبقه الى الكوفة، فارتحل الامام "عليه السلام" بعدئذ الى الكوفة [3]، ودخل "عليه السلام" الكوفة في اليوم الثاني عشر من رجب سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وكان قد انتهى من حرب الناكثين ، وقد أمن شرق الدولة الإسلامية في البصرة[4].واستقبله أهل الكوفة وفيهم قراؤهم وأشرافهم فدعوا له بالبركة[5] ، وقالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل؟ أتنزل القصر؟ فقال: لا، ولكني أنزل الرحبة. فنزلها وصلّى بالجامع الأعظم ركعتين، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (صلى الله عليه وآله) وقال"عليه السلام" : "أما بعد يا أهل الكوفة فإن لكم في الاسلام فضلا ما لم تبدلوا أو تغيروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتم وبدأتم بالمنكر فغيرتم ألا إن فضلكم فيما بينكم وبين الله فأما في الاحكام والقسم فأنتم أسوة غيركم ممن أجابكم ودخل فيما دخلتم فيه ، ألا إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسي الآخرة. ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة!!! اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. الحمد لله الذي نصر وليه وخذل عدوه وأعز الصادق المحق وأذل الناكث المبطل. عليكم بتقوى الله وطاعته من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المستحلين المدعين القالين لنا يتفضلون بفضلنا ويجاحدوننا أمرنا وينازعوننا حقنا ويباعدوننا عنه، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا. ألا إنه قد قعد عن نصرتي رجال منكم وأنا عليهم عاتب زار فاهجروهم وأسمعوهم ما يكرهون ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة"[6]

المطلب الثالث

أحداث سبقت واقعة صفين ودور الاشتر(رض) فيها

لقد مكث مالك الاشتر(رض) قليلاً في الكوفة، ثم ارسل الامام علي "عليه السلام" الولاة على الامصار التي لم يرسل إليها بعد، ومنهم مالك الاشتر(رض) على الجزيرة الفراتية، "واستعمل على الموصل، ونصيبين، ودارا، وسنجار، وامد، وميافارقين، وهيت، وعانات، وما غلب عليها من ارض الشام الاشتر، فسار إليها"[7]، ولم تحدثنا المصادر التاريخية عن الاعمال التي قام بها الاشتر (رض) في الجزيرة الفراتية، وكانت المدة قصيرة التي بقى فيها ، ثم استدعاه الامام علي "عليه السلام" الى الكوفة، ويبدو ان مالك الاشتر (رض) خلال اقامته في الجزيرة الفراتية تصدى لأعمال اهل الشام الحربية بكل حزم وشجاعة ، وهذا ما رواه ابن مزاحم المنقري (ت212هـ) في كتاب وقعة صفين ،إذ قال: بعث معاوية بن أبي سفيان الضحاك بن قيس على ما في سلطانه من أرض الجزيرة، وكان في يديه حران والرقة والرها وقرقيسيا. وكان من كان بالكوفة والبصرة من العثمانية قد هربوا فنزلوا الجزيرة في سلطان معاوية، فخرج الأشتر(رض) وهو يريد الضحاك بن قيس بحران، فلما بلغ ذلك الضحاك بعث إلى أهل الرقة فأمدوه، وكان جل أهلها يومئذ عثمانية، فجاءوا وعليهم سماك بن مخرمة، وأقبل الضحاك يستقبل

(1) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(458هـ)، معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء ،القاهرة ،ط1، 1412هـ - 1991م، 256/12، رقم الحديث(16619).
(2) ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 263/1.
(3) ينظر: العاملي، جمال الدين يوسف بن حاتم، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ط1، 1420هـ، ص 358، والبلاذري، جمل من أنساب الأشراف، 271/2.
(4) ينظر: الدينوري، الامامة والسياسة، 85/1.
(5) ينظر: المحمودي، نهج السعادة، مؤسسة التضامن الفكري، بيروت، ط1، 1387هـ - 1968م،1/ 417.
(6) المجلسي، بحار الانوار، 37/ 255، رقم (335).
(7) الدينوري، الاخبار الطوال، ص154،وينظر: المنقري، وقعة صفين ،ص10.

الأشتر(رض) ، فالتقى الضحاك وسماك بن مخرمة، بمرج مرينا بين حران والرقة، فرحل الأشتر(رض) حتى نزل عليهم فاقتتلوا اقتتالا شديدا حتى كان عند المساء، فرجع الضحاك بمن معه فسار ليلته كلها حتى صبح بحران فدخلها، وأصبح الأشتر(رض) فرأى ما صنعوا فتبعهم حتى نزل عليهم بحران فحصرهم، وأتى الخبر معاوية فبعث إليهم عبد الرحمن بن خالد في خيل يغيثهم، فلما بلغ ذلك الأشتر(رض) كتب كتائبه، وعبأ جنوده وخيله، ثم ناداهم الأشتر(رض): ألا إن الحي عزيز، ألا إن الذمار منيع، ألا تنزلون أيها الثعالب الرواغة؟ احتجرتم احتجار الضباب. فنادوا: يا عباد الله أقيموا قليلا، علمتم والله أن قد أتيتم. فمضى الأشتر(رض) حتى مر على أهل الرقة فتحرزوا منه، ثم مضى حتى مر على أهل قرقيسيا فتحرزوا منه، وبلغ عبد الرحمن بن خالد انصراف الأشتر(رض) فانصرف. فلما كان بعد ذلك عاتب أيمن بن خريم الأسدي معاوية، وذكر بلاء قومه بني أسد في مرج مرينا[1].

وحينما قدم مالك الاشتر(رض) الكوفة حدثت مداولة ومفاوضات بينه وبين الامام علي "عليه السلام"، وبعث إلى جرير بن عبد الله البجلي، وكان على همذان من زمان عثمان، وإلى الأشعث بن قيس، وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان؛ يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبِلا إليه، ففعلا ذلك، فلما أراد علي "عليه السلام" أن يبعث إلى معاوية يدعوه إلى بيعته، قال جرير : أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين، فإنّ بيني وبينه وُدّاً، فاخذ لك البيعة منه، فقال الأشتر(رض): لا تبعثه يا أمير المؤمنين، فإني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي "عليه السلام" : دعه. فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلمّا انتهى إليه جرير بن عبد الله، أعطاه الكتاب ،وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن آخرهم. فرجع جرير إلى الامام علي "عليه السلام" فأخبره بما قالوا، فقال الأشتر(رض): " ألم أنْهك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر(رض): والله لو بعثتني لم يعنني جواب معاوية ولأعجلنّه عن الفكرة، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين، لحبستك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمَّة. فقام جرير مُغْضَباً فأقام بقرقيسياء، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه"[2].

كان مالك الاشتر(رض) يأتي الكوفة بين الحين والأخر يجتمع مع الامام علي "عليه السلام" ، لغرض المشاورة واخذ الرأي مع أنه على ولاية الجزيرة الفراتية، واستمرت الكتب والرسل بين الطرفين دون جدوى، فأخذ الامام علي "عليه السلام" يدعو أهل الكوفة الى الخروج لحرب أهل الشام، وذلك لعدم قبول معاوية على المبايعة، وخطب الامام علي "عليه السلام" في مسجد الكوفة قائلاً: "سيروا الى اعداء الله، سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار"[3]، فقام إليه رجل من فزارة يقال له أربد فقال له: أتريد أن تسير بنا إلى الشام إلى إخواننا ، فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقاتلناهم! كلا والله لا نفعل ذلك أبدا! قال: فصاح الأشتر(رض) من هذا الجاهل! فقام إليه الناس، وهرب الفزاري والناس في أثره، حتى لحقوه فضربوه بأيديهم وأرجلهم وداسوه حتى قتلوه، وبلغ ذلك عليا فقال: ومن قتله؟ قالوا: قتلته الأخلاط من همدان وغيرهم من الأساور، فقال علي "عليه السلام": هذا قتيل عميّة ، لا يدرى من قتله، وديته من بيت مال المسلمين[4].

قال: فقام الأشتر(رض)، وقال: "يا أمير المؤمنين! إن جميع ما ترى من الناس شيعتك، وليس يرغبون بأنفسهم عن نفسك ولا يحبون بقاء بعدك، فإن شئت فسر بنا إلى عدوّك، فو الله ما ينجو من الموت من كره

(1) ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص12.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، /282، وينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،629/2.
(3) المنقري، وقعة صفين، ص94.
(4) ينظر: ابن اعثم، ابو محمد أحمد بن محمد بن أعثم (ت 314هـ)، الفتوح، تحقق علي شيري، دار الأضواء، بيروت،ط1، 1411 هـ - 1991 م،499/2.

الموت، وإنا لعلى بيّنة من ربنا، وكيف لا نقاتل قوما وثبت طائفة منهم على طائفة من المؤمنين، فأسخطوا الله في قتلهم وأظلمت الأرض لأعمالهم، وباعوا خلافتهم بعرض يسير من الدنيا. وبعد استماع خطبة مالك الاشتر(رض) قال له الامام علي "عليه السلام": صدقت يا مالك! والطريق مشترك والناس في الحق سواء، ومن أجهد رأيه في مصلحة العباد فله ما نوى وقد قضى ما عليه"[1].

بدأ الامام علي "عليه السلام" بتعبئة الناس ثم عسكر في النخيلة ،وكتب الى عماله بالقدوم عليه[2] ، وارسل بطلب عماله من الامصار، فشخص اليه عبد الله بن العباس من البصرة، واما مالك الاشتر(رض) فقد لازمه في هذه المدة الحرجة، وتم التهيؤ للخروج إلى لقاء جيش الشام، وفي المقابل اخذ معاوية يتهيأ ويعبئ جيشه ويحضر العدة والسلاح والرجال بعد أن وصلت الامور إلى طريق مسدود ، وأنه ماضٍ إلى المواجهة.

ارسل الامام علي "عليه السلام" مجموعة من جيشه تقدر بثمانية الاف وعليهم زياد بن النضر ثم اردفه بثمانية الاف اخرى وعليهم شريح بن هاني، وسار الامام علي "عليه السلام" ببقية الجيش من النخيلة وبرفقته مالك الاشتر (رض) ، ووجه إلى المدائن معقل بن قيس في ثلاثة الاف أن يأخذ طريق الموصل حتى يوافيه في الرقة، فلما وصل إلى الرقة قال لأهلها ليعملوا له جسرا يعبر عليه إلى الشام ،فأبوا وكانوا قد ضموا سفنهم إليهم فنهض من عندهم ليعبر الامام على جسر منبج وخلف عليهم الأشتر(رض) فناداهم الأشتر(رض) وقال : أقسم بالله لئن لم تعملوا جسرا يعبر عليه أمر المؤمنين لأجردن فيكم السيف ولأقتلن الرجال ولآخذن الأموال فلقي بعضهم بعضا وقالوا إنه الأشتر(رض) وإنه قمن أن يفي لكم بما حلف عليه أو يأتي بأكثر منه فنصبوا له جسرا وعبر عليه الامام علي "عليه السلام"وأصحابه[3].

المطلب الرابع

واقعة صفين ودور الاشتر(رض) فيها

لما عبر الامام علي "عليه السلام" بصحبة مالك الاشتر(رض) وجيشه الجسر، ساروا إلى بلدة صفين لملاقاة جيش معاوية وأهل الشام. فالتقى الجيشان في منطقة صفين التي تقع بالقرب من مدينة الرقة السورية، فأرسل أمير المؤمنين "عليه السلام" مالكاً الأشتر(رض) مؤكداً عليه أن لا يبدأهم بقتال، إلا أنّ الشاميين وبمجرد وصول الأشتر(رض) إلى المنطقة واجههوه بالحرب، واشتعلت المعركة بينهما مما اضطر الشاميين إلى التقهقر والتراجع أمامه[4].

ونزل الامام علي "عليه السلام" على شاطئ الفرات حذاء مدينة الرقة، وبلغ ذلك معاوية، فدعا بأبي الأعور السلمي، فضم إليه جيشا كثيفا من أهل الشام، ثم قال: سر بهذا الجيش نحو علي "عليه السلام"، فلعلك أن تواقعه وقعة قبل مصيره إلينا. قال: فسار أبو الأعور في جند من أهل الشام يريد علياً "عليه السلام"، وبلغ ذلك عليا "عليه السلام" ، فدعا زياد بن النضر وشريح بن هانئ فضم إليهما جيشا ، وقدمهم بين يديه نحو أبي الأعور، فساروا حتى إذا بلغوا إلى الموضع الذي فيه أهل الشام ، نظروا إلى جيش عظيم، فلم يقاتلوا وبعثوا إلى علي "عليه السلام" فأخبروه بذلك. فدعا علي "عليه السلام" بالأشتر (رض) فقال: يا مالك! إن زياد بن النضر وشريح بن هانئ أرسلا إليّ يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور في جند من أهل الشام كثيف، وقد أخبرني الرسول أنه ترك القوم متوقفين ، ، فالنجاء النجاء إلى أصحابك! فإذا أتيت القوم فلا تبدأهم بقتال حتى يبدؤوك، ثم ادعهم واعذر إليهم مرة بعد أخرى، فإن أجابوك إلى ما تريد فالحمد لله على ذلك، وإن أبوا إلا القتال فاستعن بالله عزّ وجلّ عليهم، فالقهم بحدّ وجدّ، وابعث إليّ بخبرك، وما يكون منك ومن أمرك إن شاء الله- والسلام-. قال: فسار الأشتر(رض) في جيش خشن ومعه يومئذ

(1) المنقري، وقعة صفين، ص95، وينظر: ابن اعثم، الفتوح،500/2.
(2) الدينوري، الاخبار الطوال،ص165.
(3) ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ،2/ 634.
(4) المنقري، وقعة صفين، ص284، وينظر: جعفريان، رسول، تاريخ الخلفاء، ترجمة علي هاشم الاسدي، قم المقدسة، ط1، 1435هـ، 1/ 357.

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حتى وافى بهم القوم، فلما نظر أبو الأعور إلى جند أهل العراق قد وافوا صاح بأصحابه فحمل القوم بعضهم على بعض، فاقتتلوا قتالا شديداً ،جعل الأشتر(رض) يقول لأصحابه: ويلكم! أروني أبا الأعور هذا الذي بدأنا به معاوية حتى أنظر إليه، فقالوا: هو الواقف على التلّ صاحب الفرس الأشقر، فقال الأشتر(رض) لرجل من أصحابه يقال له سنان بن مالك النخعي : اذهب إلى أبي الأعور فادعه إلى المبارزة! فقال له سنان: إلى مبارزتك أو إلى مبارزتي؟ فقال الأشتر(رض): ولو أمرتك بمبارزته لفعلت؟ قال: نعم، والذي لا إله إلا هو لو أمرتني أن أعترض صفهم هذا بسيفي لما رجعت عنهم أو أضرب فيهم ضربا يرضيك ذلك مني! فقال له الأشتر(رض): يا ابن أخ! والله لقد زدتني فيك رغبة! ولكني لا آمرك بمبارزته، إنما أمرتك أن تدعوه إلى مبارزتي، وذلك أنه لا يبارز إلا ذوي الأسنان والأكفاء من الفرسان، وأنت بحمد الله من الكرامة والشرف، ولكنك حدث السنّ، وأعلم أنه لا يبارزك، ولكن اذهب إليه وادعه إلى مبارزتي، فجاء الفتى إلى أبي الأعور فقال: إن الأشتر (رض)يدعوك إلى مبارزته، قال: فسكت أبو الأعور ساعة ثم قال: إن جهل الأشتر(رض) وسوء رأيه هو الذي حمله على ما فعل بعثمان بن عفان، ثم سار إليه في داره وقراره حتى قتله، انصرف عني فلا حاجة لي في مبارزته، فقال سنان: إنك قد تكلمت فاسمع الجواب ، فقال: لا حاجة لي في جوابك، انصرف من حيث جئت. فرجع سنان إلى الأشتر(رض) فأخبره بذلك، فتبسم الأشتر(رض) وقال: إنه نظر لنفسه، ولو بارزني لبريت يديه، ولكن احملوا عليهم! قال: فحملت أهل العراق على أهل الشام واقتتلوا قتالاً عظيماً يوم ذلك إلى الليل[1] .

"أخذت القوات المتحاربة مواقعها، وبدأ الطرفان يفكران في اليوم التالي وكيفية إدارة المعركة. الشيء المهم والخطير الذي تمخض عن مشاورات معاوية مع أصحابه هو قرار منع ماء الفرات عن جيش أمير المؤمنين علي "عليه السلام" ، لكي يسهل على جيش الشام القضاء عليهم، وفعلاً قاموا بمنع الماء عن جيش علي(عليه السلام) وأصحابه، حتى كاد العطش يفنى بالجيش، وأرسل أمير المؤمنين "عليه السلام" سريةً للبحث عن شريعة ماء أخرى ، ولكن لم يكن يوجد في الجوار شريعة ماء غير شريعة الفرات. فلم يبق أي حلٍ لهذه الأزمة سوى القتال على شريعة الماء، وفعلاً تم القتال على الماء، وسيطر جيش الإمام "عليه السلام" على شريعة الفرات، وأمر أصحابه بألا يمنعوا الماء عن جيش الشام كما فعل معاوية" [2] ، وكان لمالك الاشتر(رض) في هذه الحوادث دور محوري، وقد ابلى بلاء حسناً في القتال[3]،واستولى على الماء بفضل شجاعته(رض)[4].

وبعد أن نشبت الحرب ووقعت مواجهات متفرقة بين الفريقين، حلّ شهر محرم فقرروا وقف الحرب، واستمرت المفاوضات بين الجيشين، إلا أن معاوية أصرّ على تسليم من اتهمهم بقتل عثمان بن عفان[5] ،وتشير المصادر التاريخية إلى نشوب الحرب مرة أخرى ،ما إن أطل اليوم الأول من شهر صفر حتى نشبت الحرب بين الجيشين مجدداً، وكان يتقدم جيش الامام علي "عليه السلام" في كل يوم واحد من القادة ، فكانت قيادة الجيش في اليوم الأول لمالك الاشتر، وفي اليوم الثاني لهاشم بن عتبة، وفي اليوم الثالث لعمار بن ياسر، وفي الرابع لمحمد بن الحنفية، وفي الخامس لعبد الله بن عباس(رضي الله عنهم)، واستمرت المعارك اياماً، فعبأ الامام علي "عليه السلام" النَّاس علَى ما كانَ رتبهم عليه، وعبأ معاوية أَهل الشام واقتتلوا قتالا شديدًا، وجعل الامام علي(عليه السلام) يقول لكل قبيلة من أهل الكوفة: "كفوني قبيلتكم من اهل الشام" [6].

كانت ليلة الهرير خاتمة حرب صفين، وهي ليلة الجمعة الحادي عشر سنة (38 للهجرة) ، تكسّرت فيها الرماح وتثلمت فيها السيوف، وانخفضت فيها أصوات الرجال، وتعبت فيها الخيل. امتشق فيها الامام علي "عليه السلام" سيفه ذا الفقار ، وامتطى فرسَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وراح يضرب بسيفه،

(1) ينظر: ابن الاعثم، الفتوح،567/2.
(2)ابن الاثير، الكامل في التاريخ،2/ 635.
(3) ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص310.
(4) ابن الاعثم، الفتوح،13/3.
(5) ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص304
(6) البلاذري، انساب الاشراف، 303/2.

ويكبّر مع كل ضربة فيجندل فيها بطلاً ، وقد اعوجّ ذو الفقار بيده مراراً فقوّمه "عليه السلام" على ركبته، وكان مالك الاشتر(رض) في الميمنة ،وقاتل قتالاً كبيراً مع الامام علي "عليه السلام" حتى الصباح، واحاطا بجيش الشام ،وكان النصر منه قاب قوسين أو أدنى[1]، ورأى معاوية وعمرو بن العاص أن المعركة لا تجري لصالح الجيش الشامي ، وشعرا بأن الخطر يقترب من رقابهما، خصوصاً بعد استشهاد الصحابي الجليل عمار بن ياسر(رض)، وصدق رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) حين قال له: "يا عمار تقتلك الفئة الباغية"[2] ، وأنّ النصر في هذه المعركة بات مستحيلاً، قال معاوية لعمرو بن العاص: "ويحك! أين حيلك؟" فقال عمرو: "إن أحببت ذلك فأمر بالمصاحف أن ترفع على رؤوس الرماح ثم ادعهم إليها" .فأمر معاوية بالمصاحف فرفعت على رؤوس الرماح، و صاح أهل الشام: "يا علي! يا علي! اتق الله اتق الله! أنت وأصحابك في هذه البقية، هذا كتاب الله بيننا و بينكم". قال: ثم أتوا بالمصاحف و نادوا: يا أهل العراق! هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فالله الله في البقية والحرم والذرية الصغار! من لثغور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد أهله؟" "[3].

فَقَالَ الامام علي "عليه السلام: " والله ما هم بأصحاب قرآن ولكنهم جعلوها مكيدة وخدعة، بلغهم ما فعلت من رفع المصحف لأهل الجمل ففعلوا مثله، ولم يريدوا مَا أردت فلا تنظروا إلى فعلهم ، وامضوا على تقيتكم (كذا) ونياتكم .فمال كثير من أصحاب الامام علي "عليه السلام" إلى ما دعوا إلَيه وحرموا القتال [4]. وكان صعصعة بن صوجان، يقول كان عمل معاوية بعد سماعه الاشعث بن قيس يقول في ليلة الهرير(انا إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب وضيعة الحرمات"[5]، وكان أول معارض حقيقي للأمام علي "عليه السلام" في استمرار الحرب هو الأشعث، وكان عمله هذا مصحوباً بميل اليمانية معه[6].

وكان مالك الاشتر(رض) حينها يقاتل في خط المواجهة قريباً من خيمة معاوية فطلب معارضو الحرب من الامام علي "عليه السلام" أن يأمره بالرجوع، فبعث اليه الامام علي "عليه السلام" يزيد بن هاني ليأتيه، فقال مالك الاشتر (رض): "ليس هذه بالساعة التي ينبغي ان تزيلني فيها من موقفي"[7] ، فقال المعارضون يخاطبون الامام علي "عليه السلام" "ما نراك إلا امرته بقتال القوم ، واذا لم يرجع الاشتر قتلناك، فرجع مالك الاشتر(رض) ووضعت الحرب أوزارها! وكتب الامام علي "عليه السلام" إلى معاوية يخبره بقبول التحكيم، قائلاً له: ولقد علمت انك لست من أهل العراق، ولست حكمة تريد، والله المستعان، وقد أجبنا القرآن الكريم إلى حكمه ولسنا إياك اجبنا"[8]. وانفلت جيش معاوية بعد أن كان اشرف على الهزيمة والهلاك.

كتبت المعاهدة في التحكيم، لكن فتنة قد نشبت بين فريق من اصحاب الامام علي "عليه السلام"، وهي الفتنة التي مهدت لظهور الخوارج ، فعارض بعض الرجال المعاهدة وقتها إلا من كان من شيعة الامام علي(عليه السلام) المخلصين، فقد تحمل التحكيم لأجل الامام علي "عليه السلام" ومن هؤلاء مالك الاشتر(رض)، ولما بلغ الامام "عليه السلام" ظلم فيه، قال الامام "عليه السلام": "إن الاشتر ليرضى إذا رضيت ، وقد رضيت ورضيتم ، ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ، ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله ويتعدى ما في كتابه . وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ، وليس أتخوفه على ذلك . وليت فيكم مثله اثنين بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوي مثل رأيه" [9] ، ورجع الامام علي "عليه السلام" إلى الكوفة مع جيشه سنة(38للهجرة) ، واعاد الامام علي "عليه السلام" مالك الاشتر (رض) إلى ولايته في الجزيرة ونصيبين ، ذكرت بعض المصادر التاريخية أن الامام علي "عليه

(1) ينظر: المنقري، وقعة صفين، ص98.
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، 267/7.
(3)المنقري، وقعة صفين، ص477، ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 189/2.
(4)البلاذري، انساب الاشراف، 305/2.
(5) المنقري، وقعة صفين، ص104.
(6) ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 189/2.
(7) المحمودي، نهج السعادة، 2/ 250.
(8) المنقري، وقعة صفين، ص478.
(9) ينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 672/2، المجلسي، بحار الانوار، 547/32، رقم(459).

المجلة العراقية للبحوث الإنسانية والإجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 16S آذار 2025
No.16S Mar 2025
عدد خاص لأبحاث المؤتمر العلمي الثاني الموسوم (الارتقاء بالأداء التربوي والتعليمي- رؤى وتطبيقات معاصرة) الذي تقيمه الكلية التربوية المفتوحة ونقابة المعلمين العراقيين بالتعاون مع كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة البصرة وكلية المأمون الجامعة تحت شعار (اسس التطوير وسبل التغيير) في 26-2-2025

السلام" كتب إلَى مالك الأَشْتَر(رض)، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بنصيبين: "أَمَّا بَعْدُ، فإنك ممن استظهرته عَلَى إقامة الدين، وأقمع بِهِ نخوة الأثيم، وأشد بِهِ الثغر المخوف ....واستخلف عَلَى عملك أهل الثقة والنصيحة من أَصْحَابك والسلام" [1].

المطلب الخامس

تولية الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر (رض) على مصر

قبل الخوض في ولاية مالك الاشتر(رض) لمصر، يبرز امامنا سؤال مهم وهو: لماذا اختير مالك الاشتر (رض) لولاية مصر؟ لإخلاصه الشديد وتفانيه في العمل مع الامام علي "عليه السلام"، ولصدق مواقفه من الامام علي "عليه السلام" ، والوقوف معه ضد اعدائه، وهو ما تضمنه كلام الامام علي "عليه السلام" عن مالك الاشتر(رض) واختياره له عند توليته محمد ابن ابي بكر بعد مقتل مالك الاشتر (رض) بقوله: "الذي كنت وليته أمر مصر كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدونا شديداً ناقماً، فرحمه الله، فلقد استكمل أيامه ولاقى حمامه، ونحن عنه راضون، أولاه الله رضوانه، وضاعف الثواب له"[2] .

مع أن مالك الأشتر(رض) لم يحكم مصر مطلقاً، ورغم انه لم يتسلم مقاليد الولاية التي أوكلت إليه، ولم يتمكن من تنفيذ العهد الذي خصصه الامام أمير المؤمنين "عليه السلام" اياه لمصر وأهلها، ولكنه "عليه السلام" خلّده الى الأبد في عهده هذا عندما وجهه الى مصر [3] ، وأوضح الإمام للجميع أن أناساً مثل مالك لائقون لترؤس وحكم البلاد والعباد. ويتّضح من خلال الخصائص والصفات التي بينها الإمام "عليه السلام" في هذا العهد للولاة والقضاة والأمراء والقادة وسائر المسؤولين الثقافيين والسياسيين والاجتماعيين أن مالك الأشتر ـ من وجهة نظر الإمام ـ كان يمتلك كل هذه الصفات بأحسن ما يكون. ويعد هذا العهد من انفس الوثائق التاريخية الزاخرة ،واثراً خالداً ومفخرة للإسلام على مر الدهور يحوي على اهم القواعد والانظمة والاصول في مجالات الحياة كافة [4] .

ومن مضامين هذا العهد نذكر مما جاء فيه : "وأشعر قلبك الرحمة للرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سُبعاً ضاريا ، تغتنمُ أكلهم فإنهم صنفان : إمّا أخ لك في الدين ، أو نظيرٌ لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل ، وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فإنك فوقهم ، وولي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ! وقد استكفاك أمرهم ، وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يد لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته" [5] . وجاء فيه أيضاً : "ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ، ويعدك الفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله "[6]

يروي المحدّثون أنه لما بعث الإمام علي "عليه السلام" مالكاً الى مصر، كتب في حقه رسالة الى أهل مصر، وقد عُثر بعد استشهاده على هذه الرسالة بين ملابسه ورحله، وقد ورد فيها: "وإني قد بعثت اليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعداء، حذر الدوائر، من أشد عبيد الله بأساً وأكرمهم حسباً، أضرّ على الفجّار من حريق النار، وأبعد الناس من دنس أو عار، وهو مالك بن الحارث الأشتر، لا نابي الضريبة ولا كليل الحد، حليم في الحذر رزين في الحرب، ذو رأي أصيل وصبر جميل، فاسمعوا له

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 95/5، وينظر: ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 704/2.،ابن كثير، البداية والنهاية، 279/7.

(2) امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)، نهج البلاغة، ص 407، رقم الخطبة (34).

(3) ينظر: الكوراني، علي الكوراني العاملي، مصر واهل البيت، ط1، 1432هـ- 2011م،ص176، والقرشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام امير المؤمنين لمالك الاشتر، تحقيق مهدي باقر القرشي، النجف الاشرف، ط1، 1432هـ- 2011م، ص15.

(4) ينظر: الناصري، محمد باقر، مع الامام علي في عهده لمالك الاشتر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م، ص138.

(5) الريشهري، موسوعة الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام) ، 4/ 234، رقم (1596).

(6) المحمودي، نهج السعادة، 67/5.

وأطيعوا أمره، فإنْ أمركم بالنّفر فانفروا وإن أمركم أن تقيموا فأقيموا، فانه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري، فقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته وشدّة شكيمته على عدوّه. عصمكم الله بالحق وثبّتكم باليقين" [1].

نخلص القول أنَّ الإمام "عليه السلام" كان يثق بأنَّ مالكاً الأشتر(رض) يملك من الفكر والوعي ما يستطيع أن يستوعب به كلّ هذا النظام الإداري الإسلامي وينفّذه، فعندما تقدّم برنامجاً فيه الكثير من العمق وتنظيم الإدارة لشخص معيّن، فلا بُدَّ من أن يكون ممن يملك الثقافة والوعي والروحية والإخلاص، ليعي هذا البرنامج في آفاقه وتطلّعاته. فنحن نستطيع أن نفهم القدرة الفكرية التي يتميّز بها مالك الأشتر(رض)، من خلال عهد الإمام "عليه السلام" إليه .

خاتمة البحث

الحمد لله تعالى الذي جعل لنا من التوفيق نصيباً في تقديم هذا البحث المتواضع، فإن كان التوفيق حليفنا فمن الله عز وجل ، وإن أخفقنا في جانب فمن أنفسنا، وصل اللهم وسلم وبارك تسليما كثيراً على معلمنا الأول وحبيبنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين.

نوجز اهم الاستنتاجات التي توصل الباحث اليها فيما يأتي:

١- ينتمي مالك الاشتر(رض) إلى قبيلة يمنية عريقة وقد أدرك الجاهلية والاسلام وهو مخضرم ، واعلن اسلامه في حياة النبي محمد(صلى الله عليه واله)، لكنه كما ذكرت المصادر لم يلتق بالنبي(صلى الله وعليه واله).

٢- إن مالك الاشتر (رض) هو أول من بايع الإمام علي "عليه السلام" ثم بايع الناس بعده، وقد كان الأشتر (رض)، ممن أخلص الولاء لإمامة علي "عليه السلام"، وكان الإمام يعتمد عليه في المهام الصعبة والأمور العظام.

٣- قال فيه الامام علي (عليه السلام): "رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه آله"، وهذا بمفرده فخر كبير لمالك الاشتر(رض) وذريته الى يوم القيامة.

٤- مالك الاشتر(رض) من شخصيات التاريخ الاسلامي النادرة، ومن ابطال الحرب البارزين في أيام العرب، جمع البطولة والشجاعة إلى الدين، والفصاحة والبلاغة إلى الكرم والأدب، ورغم ما مر بنا من صفات الرجل فان التاريخ لم ينصفه، ولم يحص مآثره وأمجاده، لان ما به من صفات لا يمكن حصرها ولا يتأتى تعدادها.

٥- كانت ثقة الامام علي "عليه السلام" بقدرة مالك الاشتر (رض) الادارية عالية ،لذلك ولاه على الجزيرة الفراتية ونصيبين.

٦- استحقّ مالك الاشتر (رض) وبجدارة لقب بطل الجمل وصفّين الكبير بعد الإمام علي "عليه السلام" نظراً لشجاعته وتضحياته في تلك الحرب.

٧- كتبت المعاهدة في التحكيم، لكن فتنة قد نشبت بين فريق من اصحاب الامام علي "عليه السلام"، وهي الفتنة التي مهدت لظهور الخوارج ، فعارض بعض الرجال المعاهدة وقتها إلا من كان من شيعة الامام علي "عليه السلام" المخلصين، فقد تحمل التحكيم لأجل الامام علي "عليه السلام" ومن هؤلاء مالك الاشتر(رض).

٨- كتب الامام علي "عليه السلام" في خاتمة عهده الى مالك الأشتر(رض) داعياً: " وأنْ يختم لي ولك بالسعادة والشهادة" ، وقد استُجيب دعاؤه بحقِّه وبحقِّ مالك الاشتر(رض).

المصادر والمراجع

(1) ابن ابي الحديد، عبد الحميد بن وهبة الله (656هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، ط1، ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م.

(2) ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ - 1997م.

(1) الثقفي، ابراهيم بن محمد (ت283هـ)، الغارات، تحقيق جلال الدين الحسيني، (ب- ط- ت)، 267/1، الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، دار التراث' بيروت، ط2، 1387 هـ ، 96/5.

(3) ابن اعثم، ابو محمد أحمد بن محمد بن أعثم (ت 314هـ)، الفتوح، تحقق علي شيري، دار الأضواء، بيروت،ط1، 1411 هـ - 1991 م.
(4) ابن تغري، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر،(ب-ط-ت).
(5) ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد(ت 354هـ)، الثقات، دائرة المعارف العثمانية' الهند، ط1، 1393 هـ - 1973م.
(6) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار صادر ،بيروت ،ط1، 1994م.
(7) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد(ت 230هـ) ، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ - 1990م.
(8) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، (ب-ط)، 1407 هـ - 1986م.
(9) الأسدي ، سيف بن عمر(ت200هـ)، الفتنة ووقعة الجمل ، تحقق أحمد راتب عرموش، دار النفائس ،ط7، 1413هـ -1993م.
(10) الامين، السيد محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1403هـ- 1983م.
(11) امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)، نهج البلاغة ، جمعه ابو الحسن محمد الرضي، ضبط نصه صبحي الصالح، بيروت ،ط 1967،1 م.
(12) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(458هـ)، معرفة السنن والآثار، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الوفاء ،القاهرة ،ط1، 1412هـ - 1991م.
(13)البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر(279هـ)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417 هـ - 1996م.
(14) جعفريان، رسول، تاريخ الخلفاء، ترجمة علي هاشم الاسدي، قم المقدسة، ط1، 1435هـ.
(15) الجلالي، محمد حسين، مزارات أهل البيت وتاريخها، مؤسسة، الاعلمي، بيروت، ط3، 1415هـ - 1995م.
(16) الحكيم، محمد تقي، مالك الاشتر حياته وجهاده، المؤسسة الدولية للدراسات، بيروت، ط1، 1422هـ- 2001م.
(17) الحلي، ابو منصور الحسن بن يوسف (ت726هـ)، خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقاهة، قم المقدسة، ط4، 1431هـ.
(18) الثقفي، ابراهيم بن محمد (ت283هـ)، الغارات، تحقيق جلال الدين الحسيني، (ب- ط- ت).
(19) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود(ت282هـ)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ط1، 1960م.
(20) الدينوري، ابن قتيبة(ت276هـ)،الامامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، (ب-ط-ت)، ص70، حسين ،طه، الفتنة الكبرى، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، (ب-ط)، 2012م.
(21) الريشهري، محمد ، ميزان الحكمة، دار الحديث ،قم المقدسة ، (ب-ط)،1422هـ.
(22) .....، ..... ، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، دار الحديث ،ط 1425،1هـ.
(23) الصلابي، علي محمد ، اسمى المطالب في سيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) شخصيته وعصره، مكتبة الصحابة، الامارات، (ب-ط)، 1425هـ- 2004م
(24) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك ،دار التراث ، بيروت ،ط2، 1387 هـ.
(25) العاملي، جمال الدين يوسف بن حاتم، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ط1، 1420هـ.

(26) القرشي، باقر شريف، شرح العهد الدولي للإمام امير المؤمنين لمالك الاشتر، تحقيق مهدي باقر القرشي، النجف الاشرف، ط1، 1432هـ- 2011م.
(27) .....، .....، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام)، مؤسسة الكوثر، (ب-ط-ت).
(28) القمي، عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار، دار الاسوة للطباعة، قم المقدسة، ط2، 1416هـ .
(29) الكشي، ابو عمرو محمد بن عمر الكشي (ت350هـ)، رجال الكشي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، كربلاء، (ب-ط)، 1962م.
(30) الكوراني، علي الكوراني العاملي، مصر واهل البيت، ط1، 1432هـ- 2011م.
(31) المجلسي، محمد باقر (ت1111هـ)،بحار الانوار ، تحقيق محمد الباقر ويحيى العابدي، دار احياء التراث، بيروت، ط3، 1403هـ -1983م.
(32) المحمودي، نهج السعادة، مؤسسة التضامن الفكري، بيروت، ط1، 1387هـ - 1968م.
(33) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين(ت346هـ)، مروج الذهب ، دار الكتاب العالمي، بيروت، ط2، 1990م.
(34) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ط2، 1382هـ .
(35) الناصري، محمد باقر، مع الامام علي في عهده لمالك الاشتر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط2، 1400هـ- 1980م.
(36) اليافعي، أبو محمد عفيف الدين (ت768هـ) ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1417هـ- 1997م.
(37) اليعقوبي، احمد بن اسحاق بن جعفر(292هـ)، تاريخ اليعقوبي، تعليق خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب-ط)، 2002م.